أصول اللغة

انزياح اللغة العربية الفصحى في العصر الرقمي

تحليل نقدي لسقوط المحتوى العربي وهيمنة الآخر

إعـــداد

د. ايمان الطريفي عبد الرحمن محمد

أستاذ مشارك جامعة البحر الأحمر السودان بورتسودان

كلية التربية - قسم اللغة العربية

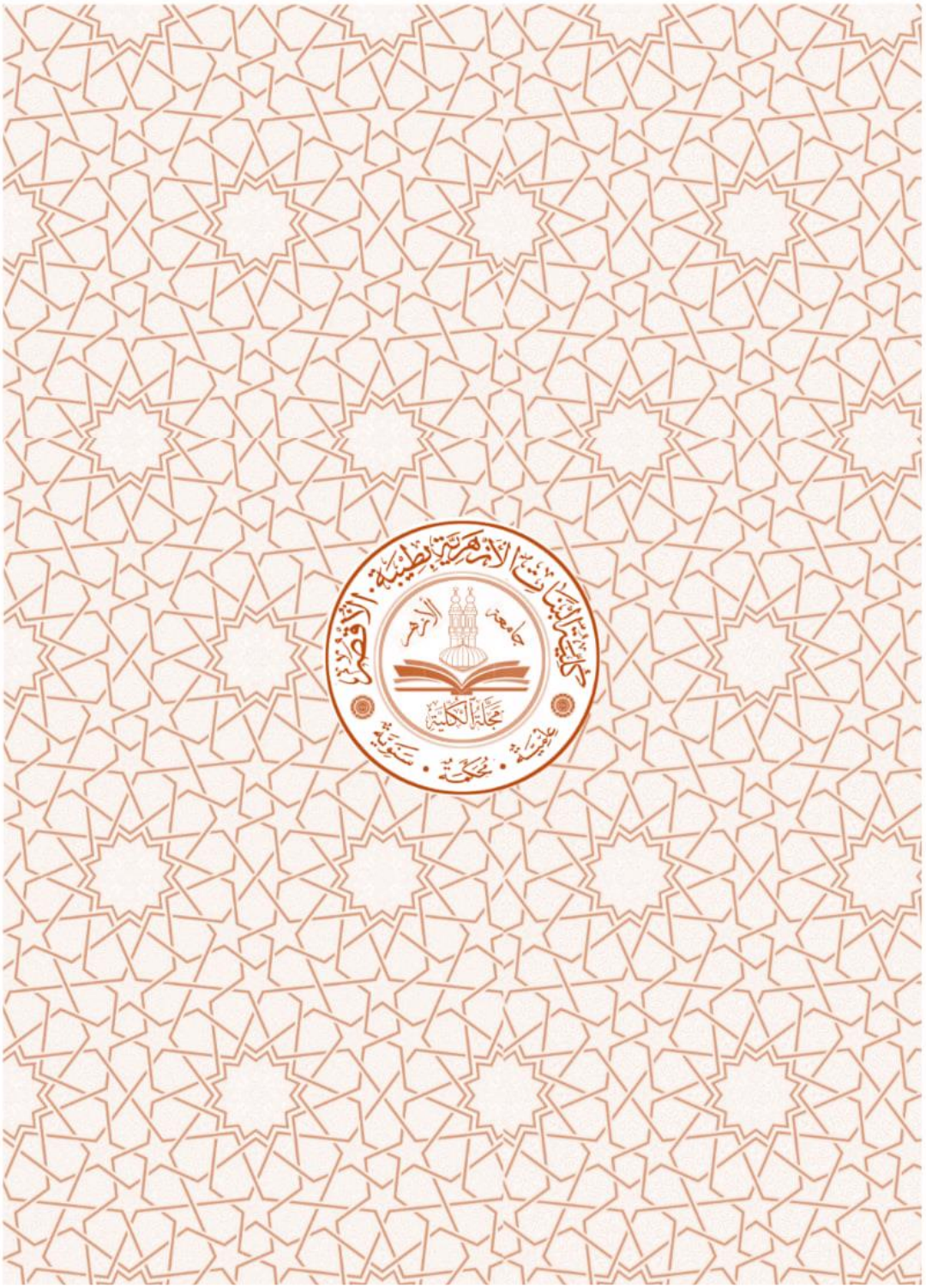
مجلة الكلية

"انزياح اللغة العربية الفصحى في العصر الرقمي:
تحليل نقدي لسقوط المحتوى العربي وهيمنة الآخر"

د. ايمان الطريفي عبد الرحمن محمد
قسم اللغة العربية - كلية التربية - - جامعة البحر الأحمر السودان بورتسودان
البريد الإلكتروني: emanhbib2@gmail.com :

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة إشكالية انزياح اللغة العربية الفصحى في العصر الرقمي، مركّزة على التحوّلات اللغوية والثقافية التي فرضتها هيمنة اللغات الأجنبية وضعف المحتوى الرقمي باللغة العربية. تنطلق الدراسة من رؤية نقدية تحليلية تُسائل الواقع اللغوي العربي في ظل تسارع العولمة الرقمية، متوقفة عند أبعاد التراجع اللغوي في الفضاءات الإعلامية والأكاديمية والرقمية. وتكشف عن مظاهر قصور السياسات اللغوية، وتفكك الجهود المؤسسية في دعم الفصحى، مقابل تغوّل اللهجات المحلية واللغات الأجنبية، خصوصًا الإنجليزية، في المشهد الرقمي. كما تسلّط الضوء على جدلية اللغة والهوية، بوصف اللغة الفصحى ركيزة حضارية وثقافية، وتعرض الدراسة نماذج نقدية لنصوص شعرية ومواقف فكرية تُظهر الحس النقدي تجاه هذا التراجع. وتختم بجملة من التوصيات لإعادة الاعتبار للفصحى في الخطاب العربي المعاصر.

كلمات مفتاحية: اللغة الفصحى، العصر الرقمي، العولمة، الهيمنة اللغوية، المحتوى العربي، الهوية الثقافية، السياسات اللغوية، اللهجات، اللغة والهوية

"The Deviation of Classical Arabic in the Digital Age:
A Critical Analysis of the Fall of Arabic Content and the

Dr.Eman Abdel-Rahman Altarafi
Department of Arabic Language – College of Education – Red Sea University – Port Sudan, Sudan.
Email: emanhbib2@gmail.com

Abstract

This study addresses the displacement of Modern Standard Arabic in the digital age, with a critical focus on the linguistic and cultural transformations driven by the dominance of foreign languages and the weakness of Arabic digital content. From an analytical and critical perspective, the study interrogates the Arab linguistic reality under the pressure of digital globalization, exploring the decline of Arabic in media, academia, and online spaces. It uncovers the fragmentation of language policies and institutional failures in supporting Arabic, juxtaposed with the increasing influence of local dialects and foreign languages—especially English—in the digital domain. The research also reflects on the intricate relationship between language and identity, considering Arabic as a civilizational and cultural pillar. It presents critical poetic and intellectual examples that reflect this linguistic crisis and concludes with practical recommendations to reinstate the value of Arabic in contemporary discourse.

Keywords: Modern Standard Arabic, Digital Age, Globalization, Linguistic Dominance, Arabic Content, Cultural Identity, Language Policies, Dialects, Language and Identity

المقدمة

أهداف الدراسة:

١. تحليل مظاهر انزياح اللغة العربية الفصحى عن مراكز الخطاب العربي إلى هوامش الاستخدام الرقمي.

٢. الكشف عن العوامل الثقافية والسياسية والتقنية التي أسهمت في تراجع الفصحى وهيمنة اللغات الأجنبية في البيئة الرقمية.

٣. دراسة العلاقة بين الانزياح اللغوي والخلل في بناء الهوية الثقافية لدى المجتمعات الناطقة بالعربية.

٤. مساءلة الخطابات الرقمية والإعلامية من منظور نقدي لتفكيك استراتيجيات تغييب الفصحى.

٥. اقتراح آليات نقدية لإعادة الاعتبار للفصحى في الخطاب الثقافي الرقمي المعاصر.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في رصد وتحليل مظاهر الانزياح التدريجي للغة العربية الفصحى من مركز المشهد اللغوي العربي إلى أطراف الخطاب الرقمي المعاصر، نتيجة هيمنة اللغات الأجنبية واللهجات المحلية، مما أثر سلبًا على الهوية اللغوية والثقافية. ويُمكن تلخيص الإشكالية في السؤال الآتي:

كيف يمكن مقاربة انزياح اللغة العربية الفصحى في العصر الرقمي من منظور نقدي، وتفكيك أبعاده الثقافية واللغوية؟

الفرضيات:

١. يُعَدّ الانزياح اللغوي انعكاسًا لأزمة هُوية تعاني منها الثقافة العربية في ظل العولمة الرقمية.

٢. تَسَبَّب غياب السياسات اللغوية الموحدة في تفكك الحضور الرسمي للفصحى لصالح اللغات الأجنبية.

٣. ضعف المحتوى الرقمي باللغة العربية أسهم في تسريع عملية الانزياح اللغوي.

٤. يمكن استعادة الفصحى إلى مركز الفعل الثقافي من خلال خطاب نقدي يعيد الاعتبار للغة بوصفها وعاءً للهوية والمعرفة.

المنهجية:

تعتمد الدراسة على المنهج النقدي التحليلي، من خلال قراءة الظواهر اللغوية والثقافية في ضوء مفاهيم الانزياح، الهيمنة، التهميش، والهوية. كما تستثمر أدوات النقد الثقافي لتفكيك الخطابات التي أسهمت في تهميش الفصحى، إلى جانب المنهج الوصفي في تتبع تجليات المحتوى العربي الرقمي وتحليل بنيته وتوجهاته.

الدراسة الإجرائية

يشهد العصر الرقمي تحولات عميقة في بنية الخطاب الثقافي واللغوي، إذ لم تعد اللغة العربية الفصحى تتبوأ موقعها المركزي في مجالات التعبير والمعرفة، بل أخذت تتعرض لحالة من الانزياح نحو الهامش، في ظل تصاعد هيمنة اللغات الأجنبية، وتضخم المحتوى الرقمي بغير العربية. ويُراد بمفهوم الانزياح هنا ذلك التحول من المركز إلى الهامش، لا على مستوى الاستخدام فقط، بل في الرمزية والدلالة والمكانة الحضارية للغة.

إن ما تعانيه الفصحى اليوم ليس مجرد أزمة استعمال، بل أزمة وجود وشرعية ثقافية، تتجلى في التراجع عن استخدامها في المشهد الإعلامي والفكري، وانسحابها التدريجي من مجالات التأثير في العالم الرقمي. ويعود ذلك إلى سياسات لغوية متراخية، وتغييب ممنهج للفصحى في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، مقابل فرض واقع لغوي بديل تهيمن فيه اللغات الأجنبية.

تطرح هذه الدراسة مقاربة نقدية تنطلق من تحليل مظاهر هذا الانزياح، وتتقصى جذوره وأبعاده في ضوء التحولات التكنولوجية والثقافية. وهي بذلك لا تقتصر على التحليل اللغوي، بل تسائل البنى الفكرية والسياسية التي أسهمت في إضعاف الفصحى، وتجتهد في تقديم بدائل ثقافية تعيد بناء العلاقة بين اللغة والهوية، وتؤسس لخطاب رقمي عربي أصيل.

انزياح اللغة العربية بين الجمال والمقاومة

مفهوم الانزياح:

يُعد الانزياح (déviation / écart) من المفاهيم البلاغية المحورية في النقد الأدبي الحديث، حيث يعني الخروج عن المألوف في التعبير، سواء على مستوى التركيب أو المعنى أو الدلالة، ليخلق المتلقي علاقة جديدة بالنص والواقع. يرى جان كوهين فيلسوف فرنسي له كتاب بنية اللغة الشعرية أن الانزياح هو الذي يُميز اللغة الشعرية عن اللغة التداولية، ويمنح النص بعدًا جماليًا عبر خرق النسق المعتاد.

الانزياح بوصفه أداة مقاومة رقمية:

في زمن تتسيّد فيه اللغة الأجنبية فضاء الإنترنت، يضطر الكاتب العربي إلى ابتكار بلاغة بديلة تحفظ له لغته وهويته. يظهر الانزياح هنا في صور متعددة:

انزياح نحوي: حيث يُعاد ترتيب الجملة بطريقة مغايرة للمألوف.

انزياح دلالي: بإعادة توظيف المفردات في سياقات حداثية أو ساخرة.

انزياح رمزي: باستدعاء الرموز التراثية في مواجهة الهيمنة الرقمية.

تُعد اللغة العربية من أقدم اللغات السامية وأغناها بالمفردات والتراكيب، وهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل ركيزة أساسية لهوية العرب الثقافية والحضارية. ومع تسارع العولمة الرقمية، بدأت هذه اللغة تشهد انزياحًا عن مسارها الفصيح التقليدي، لتدخل فضاءً تعبيريًا جديدًا يفرض عليها أن تعيد تشكيل ذاتها في مواجهة التحديات التكنولوجية والعلمية المتسارعة. لقد أصبحت اللغة العربية في العصر الرقمي تقف على تخوم الانقراض الرمزي، لا بسبب ضعفها، بل بفعل انزياح خارجي يمارسه المحتوى الأجنبي وهيمنته على الحضور الرقمي.

في القرن العشرين، حين حاول المستعمر طمس الهوية العربية، نهض عشّاق العربية من أدباء ومفكرين وشعراء، مُمارسين نوعًا من الانزياح المقاوم، حين أعادوا توظيف اللغة في مواجهة المحتل، واستحضروها بوصفها لغة القرآن والوجود والهوية. كانت تلك العودة إلى العربية الفصحى بمثابة حركة انزياحية من الهامش إلى المركز، ومن

الغياب إلى الفعل. وهي ظاهرة لم تكن مقتصرة على السودان وحده، بل انتشرت في مختلف الأقطار العربية، حيث تجلت دعوات الانتصار للغة في الشعر، والخطاب السياسي، والرؤى الفكرية، بوصفها نوعًا من المقاومة البلاغية لاستلاب الذات.

واهتم شعراء تلك الفترة باللغة العربية وضرورة الاهتمام بها وتعلُّمها وعدم إهمالها. فهم مشفقون عليها. كيف لا وهي لغة القرآن الكريم. ولذلك كتبوا قصائد بهذا المعنى، وكذلك فعل من السودان الشاعر عبد الله عبد الرحمن حين كتب قصيدة يقول فيها:

بني وطني إن قمتُ للضَّادِ داعياً ... فإنَّيَ أدعُو للتِي هِيَ أقومُ[1]
لقد وثَّق اللهُ الروابِط بيننا ... فلا تنقُضُوا باللهِ ما اللهُ مُبْرِمُ
أرى الضادِ في السودانِ أمستْ غريبةً ... وأبناؤها أمستْ لهم تتجهَّمُ
وساءتْ مقاماً فهي ثَكْلَى حزينةٌ ... وعيَّتْ جَواباً فهي لا تتكلَّمُ

حتى يقول:

أنا والليالي العشْرِ والفجرِ طالعاً ... وما الفجْرُ في الإسلامِ إلا محرّمُ
إذا لم تحسُّوا داءَها وهو فاتكٌ ... تهونوا وفي غيرِ العروبةِ تُدْغَموا
فعضُّوا عليها بالنواجزِ إنّها ... سلاحكمو إن تخلعُوهُ هُزِمْتمُو
سلامٌ عليكم إنْ فقدتُم بيانها ... سلامٌ على الفصحى سلامٌ عليكُمو
أُصَلِّي عليه ثم أذكّركم بِما ... يقرّبُكم منْه فصَلُّوا وسلَّمُوا[2]

ونلاحظ في هذه القصيدة . والتي قبلها . ليس فقط دعوة للتمسُّك باللغة ا لعربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ولكن أيضاً نلاحظ أن الأخذ من القرآن والتأثُّر به واضح. فعبارات مثل (أدعو للتي هي أقوم)، (والليالي العشر والفجر) و (لا تنقضوا) و(ساءت مقاماً) و(صلُّوا وسلِّموا) و(عربياً غير ذي عِوَجٍ) كلُّها مفاهيم وألفاظ وجُمل

(١) انظر سورة الإسراء الآية ٩ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩﴾.

(٢)عبد الله عبدالرحمن، الفجر الصادق، ط١٩٤٧، ص٨

مأخوذة من القرآن الكريم من آيات مشهورة. وهنالك ما هو مأخوذ من السنَّة مثل: (فعضُّوا عليها بالنواجزِ).

فضل الحضاره الإسلامية على الحضارة الغربية[١]

فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية في مجالات العلوم التجريبية، كالطب، والرياضيات، والهندسة، أمر لا يُنكر، وآثاره ناطقة في ذاكرة المعرفة الإنسانية. يكفي أن نُشير إلى أن علم الجبر يحمل اسمه العربي في اللغات العالمية (Algebra)، وأن مصطلح Logarithms المنسوب إلى الخوارزمي، يشهد بانحداره من أصل عربي، رغم ما طرأ عليه من انزياح لغوي أخفى جذوره الحضارية، فاستُبدلت الخوارزميات بمسميات تقنية تغيب فيها الهوية.

ولم يقتصر الأثر على الألفاظ، بل تعدّاه إلى بنية الفكر الغربي ذاته، الذي ارتكز على نظريات اجتماعية وسياسية نهلها من معين الحضارة الإسلامية. لكننا نعيش اليوم في زمن تتعرض فيه هذه الذاكرة الحضارية لعملية انزياح ثقافي مركّب، يُفرغ المفاهيم من جذورها، ويعيد تصديرها إلينا كأنها ابتكار غربي خالص، في محاولة لطمس الأثر العربي ضمن المنظومة الرقمية الحديثة. وهكذا، لا يكون الانزياح مجرد تحول في اللفظ أو البنية، بل هو أيضًا إزاحة حضارية تُقصي المساهمة العربية من المشهد العالمي، وتُلبس التراث العلمي العربي أقنعة لا تُشبهه.

قال العالم اللغوي وزير التعليم العالي والبحث العلمي بالأردن سابقاً د.عبد السلام المسدي في محاضرة له بمنتدى عبد الحميد شومان الثقافي بعنوان (اللغة العربية وتحديات العصر)[٢]: "هكذا جاء العنوان الذي اصطفيناه صريحا بما يعني أن العصر الراهن يتحدّى اللغة العربية. وأن اللغة العربية تستجمع قواها كي تتخطى عقبة الإشكالات الجوهرية القائمة أمامها. إن اللسان العربي – شأنه شأن سائر الألسنة

(١) (روان للإنتاج الإعلامي ٢٠١٠/٨/١٥)

(٢) عبد السلام المسدي، جريدة الرأي ، عمان، الأربعاء ٢٠١٢/٢/٢٩.

البشرية – إنما هو بأهله، وأهله هم المتكلمون به من الجموع، وكذلك أولو الأمر بينهم القائمون على شؤونهم. فما سنتحدث عنه من تحدّيات العصر هو حاصلُ تراكمات تاريخية فيها ما هو نابع من طبيعة اللغة العربية بوصفها لغة سامية ذات تكاثرٍ اشتقاقي، وهو ما يُنتج إشكالات تقنيّة سواء في الطباعة أو في القراءة أو في التعاطي التكنولوجيّ واستثمار الوسائط المبتكَرة، وإلى هذا يَستند ما يتحدث عنه الناس من الفجوة الرقميّة. وفيها ما هو مرتبط بالوضع الحضاري الذي آل إليه العرب والذي تبرز فيه إرادات دولية تريد إقصاء الثقافات الإنسانية العريقة في ضرب من الثأر التاريخي؛ وذلك بغية تكريس نسق ثقافي متفرد يجني وحده ثمار الوضع البشري الجديد القابع تحت سطوة العولمة النمطية الآسرة."

إن الإشارات الواردة في حديث عبد السلام المسدي تتناول العولمة بالمفهوم الغربي لها حيث يستهدفون من ورائها إقصاء الثقافات المتعددة في العالم لتحل محلها الثقافة الغربية، ومن ضمن ذلك تهميش لغات حية وسامية كاللغة العربية. وليس غير العرب أنفسهم من يمكن أن يحفظ للغة العربية مكانتها، مما يتطلب منهم المحافظة على لغتهم واستجلاء كنوزها وعدم الاستكانة لأي دعاوي تنال من قدرة اللغة العربية على استيعاب علوم العصر وأفكاره المختلفة ومنتجاته الجديدة.

أما الروائية السعودية زينب حفني فتقول[1]: "بالطبع، يمكن التوسّع في هذا النص وإضافة إشارة دقيقة وواعية لمفهوم "الانزياح" ضمن السياق الفكري واللغوي الذي يطرحه المفكر عبد السلام المسدي. إليك صياغة موسّعة ومتكاملة تضيف بعدًا نقديًّا:

إن تُتقن التحدث بلغات أجنبية عديدة فهذه موهبة قد يحسدك عليها الكثيرون، كونها بطاقة عبور للحصول على امتيازات وفرص وظيفيّة في أقصر وقت. لكن أن تتحدث بلغتك العربية الفصحى، بمخارج ألفاظ سليمة وبإعرابٍ قويم، فهذا – للأسف – لا يُثير

(١) زينب حنفي، صحيفة الدستور الأردنية العدد ١٦٠٥١، ٢٠١٢/٣/١٩

الإعجاب في أوساط كثيرة، ولا يمنح صاحبه امتيازات على أرض الواقع، رغم ما تنطوي عليه من عمق حضاري ومكوّن للهوية أصيل.

لفت انتباهي في ندوة «اللغة العربية وتحديات العصر» التي نظمها «منتدى شومان» الثقافي بالعاصمة الأردنية، الصرخة الجريئة التي أطلقها المفكر عبد السلام المسدي، محذّرًا من الانجراف وراء تيار يُكرّس اللهجة العاميّة كحامل للرسالة الثقافية، وبديلٍ عن اللغة القومية الجامعة. وعدّ ذلك خطأً جسيمًا في حق اللغة العربية، بل وصفه بأنه انتحار جماعي على عتبات قلعة التاريخ، إذ إن الرابطة اللغوية – برأيه – أقوى من السياسة ذاتها.

وفي خضم هذا التحذير، نجد أن مفهوم "الانزياح" بوصفه ظاهرة نقدية تعبّر هنا عن خروج اللغة من سياقها الفصيح والمقنّن إلى فضاءات مائعة وغير منضبطة تمثّلها العاميات المحلية. وهذا الانزياح، وإن بدا طفيفًا في ظاهره، إلا أنه يحمل في باطنه تحولًا جذريًا في وظيفة اللغة ومكانتها؛ من وعاء للمعرفة والهوية إلى مجرد أداة تواصل سطحي، مما يُفقد اللغة العربية الفصحى قدرتها على الفعل الحضاري والتأثير الثقافي.

ويُبيّن المسدي أن التهديد لم يعد يأتي فقط من اللغات الأجنبية، بل من التفكك الداخلي اللغوي، المتمثل في العاميات التي غزت المجالس الفكرية، بل وصلت إلى فصول التدريس. وفي ظل هذا الوضع، تُصبح العربية الفصحى عرضة لانزياحٍ مزدوج: خارجي بفعل الضغوط الأجنبية، وداخلي عبر التفريط الذاتي والتراخي في استعمالها في الشأن العام والمؤسسات التربوية والإعلامية.

ويزيد من خطورة هذا الواقع ما أشار إليه المسدي من أن هناك نحو خمسة آلاف لغة في العالم، يموت منها سنويًّا ٢٥ لغة، في حين أن ٦٠٠ لغة أخرى تمضي في طريق الانقراض. وإذا استمر هذا الانزياح البنيوي في البيئة اللغوية العربية، فإن مصير العربية الفصحى لن يكون في مأمن من هذا التهديد الكوني الذي يُقصي اللغات غير الفاعلة في

المشهد الحضاري الحديث. أما أ.د.محمد عبد الرحيم كافود فيقول:[1] "قبل حديثنا عن مدى إمكانية العربية في مواكبة العصر والتحديات، لابد أن نطرح السؤال الآتي وهو هل وظيفة اللغة تتوقف عند كونها وسيلة للاتصال والتواصل ونقل المعرفة؟ أم أن وظيفتها أخطر وأكبر من ذلك؟ فمن خلال الإجابة عن هذا السؤال يمكننا العبور إلى موضوع مواكبة العصر وتحدياته. نقول إن دور اللغة أو وظيفتها لا تتوقف عند كونها وسيلة اتصال وتواصل بين الناطقين بها، أو بينهم وبين الآخر، ولا عند حدود نقل المعرفة.. بل إن دور اللغة العربية يتجاوز ذلك إلى كونها حافظة للهوية، فهي الوعاء الحاوي لثقافة الأمة والحافظ لقيمها وخصائصها، وسماتها، وتاريخها، وتقاليدها. ومن هنا فإن اللغة من أهم مقومات تشكيل هوية الأمة أو الشعب بل إن اللغة ذاتها تعتبر المقوم الأساسي من مقومات الهوية إلى جانب المقومات الأخرى.."

ويقول: لابد أن يكون موقفنا تجاه اللغة والمحافظة عليها والاهتمام بها والسعي إلى النهوض بها ليس مرتبطاً بكونها وسيلة تواصل، وناقلاً للمعرفة.. وإنما هي مكون من مكونات الشخصية العربية تمثل هوية الأمة وقيمها، وعاداتها وتقاليدها... وإذا عجز العرب عن تحقيق الوحدة السياسية، فعلى الأقل المحافظة على وحدة اللغة الرابط بينهم.. وكما يقول: الفيلسوف الألماني "هيدجر": إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع.

وواقع اللغة العربية يرثى له كواقع أمتها في جميع أحوالها التعليمية و السياسية والاقتصادية والثقافية، والاجتماعية... إلخ، ويصدق عليها مقولة ابن خلدون "إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم، فقد همشت اللغة وتقلص دورها في مختلف مجالات الحياة، همشت من قبل معظم المؤسسات الرسمية

(١) أ. د. محمد عبدالرحيم كافود، اللغة العربية في مواكبة العصر وتحدياته ، موقع الشروق، ٢٠١٢/٣/١٨

وغير الرسمية.. في ظل مزاحمة اللغات الأجنبية.. واللهجات المحلية، وعبث الفضاءات، والإعلام"

.وإذا اتجهنا إلى الغرب فسوف نجد أن تلك الدول، حريصة كل الحرص على الحماية والدفاع عن لغتها، بل بعضها يمنع عقد الندوات والمؤتمرات بغير لغتها الرسمية. وتؤكد مديرة اليونسكو (إيرينا بوكوفا) في إحدى احتفاليات اليونسكو باللغة الأم (إن اللغات تمثلنا نحن البشر وحماية اللغات هي بمثابة حماية لأنفسنا)، ومن خلال ما تقدم ورغم الوضع الراهن التي تمر به أزمة اللغة العربية بأبعادها الداخلية والخارجية وبكل تحدياتها، نقول رغم كل ذلك فإن العربية سوف تكون قادرة على الاستجابة لمتطلبات العصر والتطورات التي يشهدها، إذا وجدت الإرادة لدى الناطقين بها، والقائمين عليها في المحافظة على هويتهم وذاتيتهم، وأن تكون لهم مكانة بين الأمم، فإن العناية باللغة والمحافظة عليها لابد أن تكون في مقدمة أولوياتهم، لأن لغة حملت ومازالت تحمل أعظم رسالة سماوية يدين بها أكثر من مليار، دستورها موثق بهذه اللغة، واللغة التي شيدت حضارة شملت معظم أرجاء العالم آنذاك، جديرة بأن تكون مواكبة للتطورات المعاصرة ومعبرة عن متطلبات العصر وتحدياته، ولكنها بحاجة إلى إعادة الاعتبار ،وعندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوجه ازدهارها في العصر العباسي، كانت العربية هي لغة تلك الحضارة وسعى إلى تعلمها واستخدامها معظم الشعوب حتى أثرت في كثير من اللغات الأخرى، ومازالت الكثير من مفرداتها مستخدمة في تلك اللغة.. كاللغة الفارسية، والباكستانية، والتركية، وكانت العربية رافداً قوياً لتلك اللغات لكي تواكب المستجدات الفكرية والعلمية، وقد ترجمت الكثير من العلوم والمعارف في الطب، والهندسة، والجغرافيا، والفلسفة إلى اللغة العربية، ولم تعجز عن استيعاب كل تلك المصطلحات الوافدة من اللغات الأخرى، مما يدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية لغة حية تنمو وتتطور حسب متطلبات الحياة، ومن يرجع إلى أمهات الكتب العربية التي ظهرت في تلك

العصور وتناولت مختلف العلوم والمعارف سوف يجد إلى أي مدى اتسعت امكانيات اللغة العربية لاستيعاب مظاهر الحياة ومستجداتها في مختلف المجالات(١).

واللغة العربية تمتاز بخصائص الاشتقاق، والتصريف في الأسماء والأفعال إلى قابلية التعريب الذي عرفت به على مدى العصور، وكذلك كثرة المترادفات، وتنوع دلالتها.لذلك فالعيب والقصور ليس في اللغة ذاتها، وإنما القصور والنكوص في القائمين عليها، والناطقين بها.

ولننظر إلى من حولنا، وموقفهم من لغاتهم، وثقتهم بأنفسهم، واعتزازهم بلغاتهم: فإسرائيل (هذا الكيان الدخيل غير الشرعي) قد أحيت العبرية المندثرة وجعلتها لغة التعليم والعلوم، ولغتها الرسمية في كل المحافل.. رغم محدودية هذه اللغة وهجرها لعشرات القرون، ومحدودية الناطقين بها. فما بالنا نحن العرب كأمة عريقة !! وهناك الكثير من الأمثلة فمعظم الشعوب تعتز بلغتها، ولم تمنع اللغة تطورها وتقدمها واستفادتها من علوم العصر رغم صعوبة بعض هذه اللغات في الكتابة ونحوها كاللغة الصينية، واليابانية... إلخ.

وقف الزعيم الفيتنامي (هوشه منة) مخاطباً شعبه ذات يوم قائلاً (عليكم الحفاظ على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية)(٢).

وإذا اتجهنا إلى الغرب فسوف نجد أن تلك الدول، حريصة كل الحرص على الحماية والدفاع عن لغتها، بل بعضها يمنع عقد الندوات والمؤتمرات بغير لغتها الرسمية.

وتؤكد مديرة اليونسكو (إيرينا بوكوفا) في إحدى احتفاليات اليونسكو باللغة الأم (إن اللغات تمثلنا نحن البشر وحماية اللغات هي بمثابة حماية لأنفسنا)، ومن خلال ما تقدم ورغم الوضع الراهن التي تمر به أزمة اللغة العربية بأبعادها الداخلية والخارجية

(١) (تاريخ العلوم عند العرب: فؤاد سسكين).

(٢) أ. د. محمد عبد الرحيم كافود، جريدة الشرق القطرية ٢٠١٢/٣/١٨

وبكل تحدياتها، نقول رغم كل ذلك فإن العربية سوف تكون قادرة على الاستجابة لمتطلبات العصر والتطورات التي يشهدها، إذا وجدت الإرادة لدى الناطقين بها، والقائمين عليها في المحافظة على هويتهم وذاتيتهم، وأن تكون لهم مكانة بين الأمم، فإن العناية باللغة والمحافظة عليها لابد أن تكون في مقدمة أولوياتهم، لأن لغة حملت ومازالت تحمل أعظم رسالة سماوية يدين بها أكثر من مليار، دستورها موثق بهذه اللغة، واللغة التي شيدت حضارة شملت معظم أرجاء العالم آنذاك، جديرة بأن تكون مواكبة للتطورات المعاصرة ومعبرة عن متطلبات العصر وتحدياته، ولكنها بحاجة إلى إعادة الاعتبار لها من خلال[1]:

أن تصبح لغة التعليم من رياض الأطفال حتى الجامعة. أن تكون اللغة الرسمية للندوات والمؤتمرات التي تعقد في الدول العربية الاهتمام بالترجمة وإنشاء مؤسسات أو مراكز للترجمة وإعطاء الأولوية للموضوعات العلمية.

أن تتجه الجامعات ومراكز الأبحاث إلى اللغة العربية في البحوث والدراسات التي تقوم بها.أن تلتزم وسائل الإعلام والفضائيات بوجه خاص باتخاذ اللغة العربية وسيلة الاتصال والتواصل.اهتمام المؤسسات العلمية والثقافية بالبرمجيات الإلكترونية وتعريب ما يمكن تعريبه.. لأن تلك المواد والبرامج التي تتدفق من خلال (شبكات الاتصال) الإلكترونية تلعب دوراً كبيراً في التشكيل والتأثير على لغة النشء.

في ندوة اتحاد الكتاب العرب التي عقدت في دمشق بتاريخ ١٤ مارس ٢٠١٢، طُرحت قضايا مصيرية تتعلق بمكانة اللغة العربية في ظل التغيرات الحضارية والتكنولوجية التي يشهدها العالم المعاصر. وقد أجمع الباحثون على أهمية مواكبة اللغة العربية للتكنولوجيا الحديثة، دون أن تفقد هويتها وأصالتها التي تشكّل الرابط الأخير بين أبناء الأمة العربية. وفي هذا السياق، شدّد الباحث أحمد الحوص على خطورة الدعوات التي تنادي بتبني الحضارات الأخرى دون تمحيص، معتبراً أن كثيراً من هذه الدعوات تتضمن

---

(١) **المرجع السابق.**

وسائل تهدف إلى تهديم اللغة العربية، تلك اللغة التي تشكّل جوهر الانتماء الثقافي العربي. وقد ذكّر الحوص بتراثنا العلمي والفكري الذي تزخر به الحضارة العربية، ممثلاً في أعلام كابن الهيثم، وابن سينا، والرازي، الذين أسهموا في بناء الفكر الإنساني وأسّسوا لحضارة عالمية ما زالت آثارها قائمة.

ومن جهته، دعا الدكتور كنعان في ذات الندوة إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية، بوصفها لغة لها امتدادها الحضاري وأصالتها التاريخية، مؤكداً أن التقدم التقني لا ينبغي أن يكون على حساب الهوية اللغوية. وأشار إلى أن اللغة العربية بما تحمله من مصطلحات ومعاجم غنية، قادرة على أن تواكب ثورة التكنولوجيا، شريطة أن يُبذل جهد حقيقي في دمجها في هذه الثورة، لا تذويبها أو صهرها في لغات أخرى. وأكد أن استمرار استخدام اللغة العربية بوصفها أداة فكر وتواصل في العالم

الرقمي، من شأنه أن يفرض احترامها ويُلزم الآخرين بالتعامل معها، لا سيما إذا ما ترافقت هذه الجهود مع تعزيز المحتوى العربي الرقمي.

وهكذا نخلص إلى أن هذه الندوة تعبّر عن وعي آخذ في التشكّل – ولو بشكل محدود – تجاه أهمية اللغة العربية في العصر الرقمي، وهو وعي بدأ يتجلى في جهود الباحثين والمهتمين الذين ينادون باستخدام الفصحى في الأعمال الإبداعية، وتجنّب اللهجات المحلية أو الكلمات الأجنبية ما دامت اللغة العربية تتضمن المصطلحات البديلة. ويتوسع هذا الوعي ليشمل ضرورة مواجهة العولمة الثقافية، التي تسعى – بوسائل ناعمة أحياناً وخشنة أحياناً أخرى – إلى تغريب الهوية العربية، وتهميش اللغة الأم لصالح لغات القوة والتأثير.

ومن جهة أخرى، فإن الانزياح – كمفهوم نقدي ولساني – يمكن أن يُستخدم هنا لتحليل ظاهرة الخروج عن الفصحى نحو العاميات أو اللغات الأجنبية، وهو انزياح سلبي يُظهر خللاً في تمثّل الهوية اللغوية. في المقابل، يمكن النظر إلى التمسك بالفصحى في الخطاب الرقمي بوصفه انزياحًا إيجابيًا عن المألوف المعولم، وموقفًا جماليًا يعيد للغة مكانتها التعبيرية، وينطوي على بعد مقاوم يستعيد جوهر الأصالة في وجه التنميط

اللغوي العالمي. فاللغة هنا لا تُفهم فقط بوصفها وسيلة تواصل، بل ككيان ثقافي يحمل في طياته أنساقًا من القيم، والتاريخ، والرؤية الحضارية.

لقد شهد العالم خلال العقود الأخيرة تحولاً جذريًا نحو الرقمية، حيث أضحت التقنيات الحديثة والإنترنت جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية، الأمر الذي أثّر بشكل مباشر في مكانة اللغات، وفي مقدمتها اللغة العربية. فرغم أن العربية تُعد من أكثر اللغات انتشارًا على مستوى العالم، إلا أن حضورها في الفضاء الرقمي لا يزال محدودًا، إذ تواجه تحديات جسيمة أبرزها هيمنة اللغات الأجنبية، وتراجع المحتوى العربي في مجالات الذكاء الاصطناعي والترجمة الآلية، ما يضعف من قدرتها على التفاعل الحيوي مع الواقع التكنولوجي الجديد.

كما يتجلى الانزياح السلبي في السياسات التعليمية التي تُقدّم التخصصات العلمية والتقنية في الجامعات العربية بلغات أجنبية، وهو ما يُسهم في تهميش العربية في المجال الأكاديمي. كذلك، فإن انتشار الإعلام باللهجات المحلية على حساب الفصحى يخلق فجوة بين الأجيال الجديدة ولغتهم الأم، وهو ما يدفع الشباب إلى التعلق باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، لغياب البدائل الجذابة والفاعلة بالمحتوى العربي.

ومع كل هذه التحديات، فإن ثمة مبادرات متزايدة تحاول أن تعيد للغة العربية مكانتها، وتسعى إلى تعزيز حضورها في المشهد الرقمي والعلمي. ولعلّ من الضروري اليوم إعادة النظر في السياسات اللغوية، وتبنّي رؤى أكثر جرأة وإبداعًا، ترتكز على توظيف اللغة العربية توظيفًا ديناميكيًا قادراً على التفاعل مع مستجدات العصر دون أن يفقد انتماءه الجوهري.

الخاتمة:

تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ اللغة العربية، رغم ثرائها المعجمي وتاريخها الحضاري، تواجه في العصر الرقمي تحديات متشابكة تمسّ جوهر هويتها. فقد أسهمت التحولات التكنولوجية الكبرى في تقليص حضور العربية في الفضاء الرقمي، كما أدّت سياسات التعليم والإعلام إلى انزياحات لغوية نحو اللهجات العامية واللغات الأجنبية، تهدّد تماسك الهوية الثقافية للأمة العربية. ومع ذلك، فإن الأصوات الواعية التي تدعو إلى حماية اللغة ومواكبتها للتقنية تفتح أفقًا واعدًا نحو نهضة لغوية جديدة، شرط أن يُعاد النظر في آليات التعامل مع العربية على المستويات المؤسسية والثقافية والتربوية. وقد أظهرت الدراسة أن مفهوم "الانزياح" يمكن أن يُستثمر في هذا السياق النقدي، لا بوصفه فقط أداة بلاغية، بل كعدسة تكشف مواقع الخروج عن النسق اللغوي الأصيل، وتقيّم أثره بين الإيجابية والسلبية.

النتائج:

١. تشهد اللغة العربية تراجعًا ملحوظًا في البيئة الرقمية، ويعود ذلك إلى ضعف المحتوى العربي الرقمي، وهيمنة اللغات الأجنبية في مجالات التقنية والعلوم.

٢. تسهم وسائل الإعلام ومناهج التعليم الحديثة في تكريس انزياح سلبي عن الفصحى نحو اللهجات المحلية أو الإنجليزية، ما يؤدي إلى قطيعة تدريجية مع اللغة الأم.

٣. تبنّي التكنولوجيا دون استراتيجية لغوية مدروسة يهدّد بإذابة اللغة العربية في سياقات غير عربية، وهو ما ينعكس سلبًا على الهوية الثقافية.

٤. يشكّل "الانزياح" مفهوماً تحليليًا فعّالًا لفهم تحوّلات الخطاب اللغوي العربي في العصر الرقمي، إذ يمكن استثماره في تقييم مدى انحراف الممارسة اللغوية عن مسارها الأصيل.

٥. توجد بوادر صحوة لغوية محدودة، تمثّلت في مبادرات ومؤتمرات تسعى لإحياء اللغة العربية وتعزيز مكانتها الرقمية والعلمية.

التوصيات:

١. تفعيل المحتوى العربي الرقمي: إنشاء مشاريع كبرى لإثراء الإنترنت بمحتوى علمي، أدبي، وتقني باللغة العربية، يتسم بالدقة والجاذبية.

٢. تعريب العلوم والتقنية: تشجيع الجامعات والمؤسسات العلمية على اعتماد العربية في تدريس التخصصات الحديثة، مع دعم الترجمة العلمية.

٣. تعزيز الإعلام الفصيح: تطوير السياسات الإعلامية نحو تقديم محتوى فصيح ومؤثر، يراعي متطلبات العصر دون التفريط بالأصالة.

٤. إدماج مفهوم الانزياح في النقد اللغوي المعاصر: لتمكين الباحثين من تحليل الانحرافات اللغوية الحديثة، وبيان أثرها في تشويه بنية الخطاب العربي.

٥. إطلاق مبادرات شبابية رقمية: تحفّز على استخدام الفصحى في منصات التواصل الاجتماعي، وتنافس المحتوى الأجنبي من حيث الإبداع والتأثير.

٦. بناء شراكات لغوية رقمية عربية: بين الجامعات، ومراكز البحوث، ومنصات الذكاء الاصطناعي، لإنتاج أدوات رقمية (معاجم، مترجمات، محركات بحث) داعمة للغة العربية.

٧. مأسسة الاهتمام باللغة: بإنشاء مجالس لغوية رقمية عربية تكون مرجعية في التخطيط اللغوي المواكب للعصر.

المصادر والمراجع

(١) سورة الإسراء الآية ٩: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾

(٢) عبد الله عبدالرحمن، الفجر الصادق، ط١٩٤٧م.

(٣) (روان للإنتاج الإعلامي ٢٠١٠/٨/١٥)

(٤) عبد السلام المسدي، جريدة الرأي ، عمان، الأربعاء ٢٠١٢/٢/٢٩.

(٥) زينب حنفي، صحيفة الدستور الأردنية العدد ١٦٠٥١، ٢٠١٢/٣/١٩

(٦) محمد عبدالرحيم كافود، اللغة العربية في مواكبة العصر وتحدياته ، موقع الشروق، ٢٠١٢/٣/١٨

(٧) فؤاد سسكين، تاريخ العلوم عند العرب.

(٨) محمد عبدالرحيم كافود، جريدة الشرق القطرية ٢٠١٢/٣/١٨

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١١٩٣
الدراسة الإجرائية	١١٩٥
انزياح اللغة العربية بين الجمال والمقاومة	١١٩٦
مفهوم الانزياح:	١١٩٦
الانزياح بوصفه أداة مقاومة رقمية:	١١٩٦
فضل الحضاره الإسلامية على الحضارة الغربية()	١١٩٨
الخاتمة:	١٢٠٧
المصادر والمراجع	١٢٠٩